خطبة صلاة الجمعة 5/ 3/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(صلة الأقارب)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعية هي أُذُنٌ سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة العاشرة في سلسلة عنوانها (**توعية**)، أعرض لكم فيها صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يحب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: **صلة الأقارب**

أيها الإخوة:

ما إنْ يدخلِ الإيمانُ القلبَ حتى يبدأ صاحبُه بالعمل الصالح، وها هو القرآن يربط في عشرات المواضع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: 1 – 3] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

فالعمل الصالح النافع من علامات الإيمان.

ويبدأ الإنسان بنفع نفسه، فإذا طالَبْته بنفع قريب أو غريب اعتذر وأبقى نفعه قاصراً على ذاته، فإذا سما إيمانه زاد نفعه فصار متعدياً لأقاربه لوالديه ثم لزوجه وأولاده ثم لإخوانه وأخواته ثم لسائر أرحامه ومعارفه ثم لجيرانه ورفاقه ثم للمؤمنين ثم لغير المؤمنين ثم للنبات والحيوان ثم للعالمين ليكون قريباً من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي خاطبه ربه بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

فكلما اتسعت دائرة نفعك كلما اقتربت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا اقتربت منه في الدنيا اقتربت منه في الآخرة.

والحاصل: كلما قوي الإيمان في القلب اتسعت دائرة نفع صاحبه.

وأولى من تنفعهم أرحامك وأقاربك وحسبك بهذه الآيات والأحاديث داعيةً لصلة الأرحام وبرهم والإحسان لذي القربى وإيتائهم.

قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«قال الله عز وجل: أنا اللهُ، وأنا الرحمنُ، خلقتُ الرَّحِمَ، وشققتُ لها اسماً من اسمي، فمن وَصَلَها وصلتُهُ، ومن قطعَها – قطعتُه– أَو قال: بتتُّه»**

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: **«إن اللهَ خَلَقَ الخلق، حتى إذا فَرَغَ منهم قامَتِ الرَّحِمُ، فأخذت بحَقْوِ الرحمن، فقال: مَهْ؟ قالت: هذا مقامُ العائِذ بكَ من القطيعة، قال: نعم، أَمَا تَرضينَ أن أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالت: بلى، قال: فذلك**

لكِ، ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 22، 24]».

وعند الترمذي: أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صِلَة الرحم: مَحَبَّة في الأهل، مَثْرَاة في المال، مَنْسَأة في الأثر».

أيها الإخوة:

صلة الأقارب واجبة عند جماهير العلماء لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1]، أي اتقوا الله أن تعصوا أمره واتقوا الرحم أن تقطعوها. ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه» [البخاري].

وتحصل صلة الأرحام بجميع أنواع الإحسان كالزيارة، والمعاونة، وقضاء الحوائج، والسلام، والمراسلة إن كان غائباً، والهدية، وببذل المال للأقارب المحتاجين، وظاهر عبارة الحنفية، والشافعية أن الغني لا تحصل صلته بالزيارة لقريبه المحتاج إن كان قادراً على بذل المال له.

وللعلماء في الأقارب الذين يجب وصلهم رأيان:

الأول: **قول الحنفية**: وهو أن الصلة خاصة بالرحم المحرم دون غيره، والرحم المحرم هم أربعة:

أصول الإنسان وإن علوا، وفروعه وإن نزلوا، وفروع والديه وإن نزلوا، والطبقة الأولى من فروع الأجداد والجدات.

فيدخل بهذا في الرحم المحرم الآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأجداد والجدات، والأعمام والعمات والأخوال والخالات، والأولاد وأولادهم وإن نزلوا.

والثاني: قول **جمهور العلماء** وهو أن الصلة مطلوبة لكل قريب:

سواء كان رحماً محرماً أو غير محرم.

وللمرء الذي يصل رحمه ويحسن لأقاربه عطايا في الدنيا وبركات في الآخرة أذكر منها:

1- **زيادة الرزق وبركة العمر**: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَن سَرّه أن يَبْسُط الله له في رزقه، وأن يَنْسَأ له في أَثَره، فلْيَصِلْ رحمه».

2- **وصل الله تعالى له بالخيرات في عاجله وآجله:** أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الرَّحِمُ مُعلَّقة بالعرشِ، تقولُ: من وَصَلَني وَصَلَهُ اللهُ، ومن قطعني قَطَعَهُ الله**».

قال القاضي عياض: (وصلة الله لعباده رحمتُه لهم وعطفه بإحسانه، ونعمه عليهم، أو صلته له بأهل ملكوته، والرفيق الأعلى، وقربه منهم جل اسمه بعظيم منزلته عنده، وشرح صدره لمعرفته).

3- **مضاعفة أجر الصدقة:** أخرج الترمذي والنسائي عن سلمان بن عامر رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الصَّدَقَةُ على المسكين صَدَقَة، وعلي ذي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَة، وَصِلَة**».

4- **إمدادٌ بالملائكة لمن وصل من قطعه من أرحامه:** أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: «**يا رسولَ الله، إن لي قرابة، أصلِهُم ويقطعونني، وأُحْسِن إليهم ويُسيئُون إليَّ، وأحلُم عنهم، ويجهلون عليَّ؟ قال: لئن كنتَ كما قلتَ فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ، ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك**».

تُسِفُّهم الملَّ: أي كأنما ترمي في وجوههم الرماد الحار. والظهير: المعين والناصر.

5- **النجاة من الأهوال في وقت الشدة:** وهذا ما فهمته السيدة خديجة رضي الله عنها من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما خاف على نفسه فأقرها على مقالتها إذ طمأنته فقالت: «والله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لَتَصِلُ الرحم، وتَصْدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتَكسِب المعدوم، وتقْرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحق» [البخاري ومسلم].

أيها الإخوة:

في زمن الشدة نحن أحوج ما نكون ليعين بعضُنا بعضاً فيعينَنا الله، وليصل بعضُنا بعضاً فيصلَنا الله، وليرحم بعضنا بعضاً فيرحمَنا الله.

وليبدأ المرء بنفسه ووالديه ثم بزوجه وولديه ثم بأخته وأخيه ثم الأقرب فالأقرب. ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: 38].

والحمد لله رب العالمين